



دعاء من جوامع كلم النبي الكريم

16 في ثنانيا القرآن

محاضرة في الأردن

2023-02-27

عمان

الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يارب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

دعاء فيه جوامع الكلم:

وبعد: جاء في سنن النسائي بسند صحيح:

{ صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَحَقَّهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَتَوْهَا! فَقَالَ: أَلَمْ أُنِّمِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ أَمَّا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَائٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ اللَّهُمَّ بَعْلِيكَ الْغَيْبِ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْ مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّعْتُ إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُصَرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ. }

(صحيح النسائي)

(صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَحَقَّهَا) صلى صلاة بالناس فأخفها؛ أي جعلها خفيفة سريعة، لعلها ليست كما عهدوا منه أن يطيل في الصلاة (فَكَأَنَّهُمْ أَتَوْهَا) يعني استغربوا منها.

الدعاء في الصلاة:

(فقال: ألم أنم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى) وكان عمار بن ياسر -رضي الله عنه- يعطينا هنا مقياساً لتمام الصلاة، الصلاة التي لا تُنكر على إنسان أن يتم ركوعها وسجودها، جاء بالركوع والسجود على وجهيهما الصحيح، وهما بالعادة ما يستعجل بهما الناس، فركع حتى استوى رакعاً، ثم قام حتى استوى قائماً، ثم سجد حتى استوى ساجداً، وهكذا، يعني أقل الركوع سبحان ربي العظيم بتمامها، وكماله: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، والأكمل: اللهم لك ركعت وبك أمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقل به قدمي، السجود: أقله سبحان ربي الأعلى، وكماله: ثلاث مرات، وإذا زاد: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" نَعَمْ ما فعل، وإذا زاد: "سجد وجهي للذي خلقه فصوره وشفق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين" فحسن لا سيما في صلاة الليل التي يُتَذَبُّ فيها الإطالة بالركوع والسجود.



مواطن الدعاء في الصلاة في السجود

(فقال: ألم أنم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قالَ أَمَا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ) يعني هذه الصلاة التي استعزيتكم سرعتها بالنسبة لما كان مني سابقاً كان فيها دعاء دعوت به، ربما دعا به في السجود أو قبل السلام، مواطن الدعاء في الصلاة في السجود.

قال: أكثروا الدعاء في السجود ففهم أن يستجاب لكم؛ أي جدير أن يستجاب لكم، أما الركوع: "فعظموا فيه الرب" بالركوع لا يدعو الإنسان، تعظيم لله.

{ أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، ففهم أن يستجاب لكم. }

(صحيح مسلم)

السجود:

{ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء }

(صحيح مسلم)

ومن مواطن الدعاء: بعد الإفراغ من الصلوات الإبراهيمية وقبل السلام يدعو الإنسان بما شاء من خيري الدنيا والآخرة.

(قالَ أَمَا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ-الآن دخلنا فيما نريد الدخول إليه- اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَنَوَقْنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِحْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَفَرَجًا عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرَدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءِ مُصَرَّةٍ وَفِتْنَةِ مَضَلِّهِ اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِزْقِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هَذِهِ مُهْتَدِينَ) هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الذي جمع معاني كثيرة فيها معان عظيمة في كلمات قليلة.

التوسل إلى الله:

(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ): هذه الباء للتوسل؛ يعني يدعو الله اللهم أي بالله، الميم بدل من الباء لذلك لا يُقال: يا اللهم، إما أن يُقال اللهم، أو بالله، الميم بدل من ياء النداء، وهذه الميم خاصة بلفظ الجلالة، فلا يُنادى أحد بالميم المشددة إلا الله، هذه من خصائص اللغة، فلا يقال لشخص اسمه بلال: بلال، وإنما يا بلال، هذا لا يُنادى به إلا المولى جل جلاله اللهم.



تتوسل إلى الله بأسمائه، أو صفاته

فقال: **(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ)** هذه الباء للتوسل، يعني أتوسل إليك بعلمك الغيب، هذا النوع من التوسل لا خلاف على جوازه بل استحبابه وندبه، بمعنى أن تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فتقول: يا غفور اغفر لي، اللهم برحمتك ارحمني، اللهم بفضلك تفصل علي، اللهم أنت الرزاق فارزقني، تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته. وقد تتوسل إلى الله تعالى بحبك لنبيه، اللهم بحبي لنبيك فَرِّجْ عني ما أنا فيه، اللهم باتباعي لنبيك فَرِّجْ عني ما أنا فيه.

وقد تتوسل إلى الله بأعمالك الصالحة، فتقول: اللهم إن كنت تعلم أنني أطلعت هؤلاء المساكين لوجهك ففَرِّجْ عني ما أنا فيه، كما فعل الثلاثة الذين شُذَّ عليهم الغار فدعوا الله كل واحد منهم بصالح عمله، ففرج الله عنهم الصخرة فخرجوا يمشون، فالتوسل مشروع، وهذه الأنواع التي ذكرتها لا خلاف على جوازها بل على استحبابها وندبها، أن تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، بصفة من صفاته، أن تتوسل إلى الله بحبك لنبيه، باتباعك لنبيه، أن تتوسل إلى الله بعمل صالح عملته، هذا التوسل لا خلاف في مشروعيته، فتوسَّلْ هنا -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه بعلمه الغيب وقدرته على الخلق، قال: **(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ)** بشيء من اثنين من صفات الله؛ الصفة الأولى هي العلم، والصفة الثانية هي القدرة.

العلم والقدرة:

والله تعالى له صفات وله أسماء، من أعظم أسمائه وصفاته: العليم القدير، العلم والقدرة، العلم والقدرة صفات، والعليم والقدير أسماء، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا
(12)

(سورة الطلاق)



التزام الإنسان بمنهج الله تعالى

هاتان الصفتان من أجلهما خلق الله السماوات والأرض، لنعلم هاتين الصفتين، لماذا؟ لأن الإنسان إذا أدرك أن الله تعالى يعلم ويقدر فإنه يلتزم بمنهجه، هَبْ أنك تقف على إشارة مرور، والإشارة حمراء وأنت بسيارتك، وأنت مواطن من الدرجة العادية، لست مواطناً من الدرجة الأولى التي تُباح لك فيها تجاوز القوانين، والساعة الثانية طهرًا، والصابطة موجودة، والشرطي واقف، والسيارة موجودة، والقانون مخالفه بمبلغ كبير، وربما سحب الشهادة لمن يقطع الإشارة أو يخالف، ما فلسفة ذلك؟ لماذا لم تقطع الإشارة وأنت على عجلة من أمرك، والطريق الثاني لا يوجد فيه سيارات تؤذيك، لا يوجد ولا سيارة، لماذا لم تقطع؟ أدركت أن علم من وضع القانون يصل إليك عن طريق هذا الشرطي الذي وضعه وزير الداخلية، وأدركت أن قدرته تصل إليك، لأنك لست فوق القانون فوقفت، من الذي يقطع الإشارة؟ أحد من الناس أدرك أن علم واضع القانون لا يصل إليه، الساعة الثالثة فجرًا لا يوجد كاميرات ولا شرطة، فأدرك أنه لن يمسك به أحد فأقلت من الإشارة، الثاني أدرك أن قدرة واضع القانون لن تطوله؛ لأنه يرى نفسه فوق واضع القانون، أي عنده واسطة كبيرة، أما المواطن الملتزم لا يقطع الإشارة لهذين السببين، بالعمق، دعك من الالتزام بالقوانين أحدث عن مواطن عادي، لأنه أدرك أن العلم بطوله، والقدرة تطوله فتوقف عن الفعل، فحنن في كون الله **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** لماذا لا نعصيه مع قدرتنا على المعصية؟ فقد أعطانا الله القدرة على الفعل وترك الفعل لأننا مكلفون، لماذا لا نأتي ما حرم الله؟ لماذا إذا أتينا -لا سمح الله- عدنا فوراً إلى الله؟ لأننا ندرك أن الله يعلم ما نفعله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)

(سورة العلق)

وندرک أنه قدير علينا في الدنيا وفي الآخرة، نحن في قبضته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَخْفَى عَلَى عَيْنِ فَالِقِ الْوَيْدَانِ (123)

(سورة هود)

أنواع الغيب:



تخصيص العلم بالغيب

فهنا أيتها الأجيال قال: **(اللَّهُمَّ بَعِّلِك الغيب وقدرتك على الخلق)** توسل إلى الله بعلمه وبقدرته، وخصّ العلم بالغيب؛ لأنه الشيء الذي كثيراً ما يغيب عن الناس، عالم الشهادة واضح، لكن الناس ما الذي يغيب عنهم؟ أن الله يعلم الغيب، الدليل أن الإنسان كثيراً ما يلتزم بالتعليمات وهو مع الناس، لكن يخالف التعليمات عندما يخلو بحرمات الله، يعني لم ينتبه إلى عالم الغيب، فقال **(اللَّهُمَّ بَعِّلِك الغيب)**.

1. الغيب المطلق:

وبالمناسبة الغيب نوعان أيتها الكرام؛ غيب مطلق، وغيب نسبي، الغيب المطلق: ما غاب عنك وعن غيرك نهائياً، هذا غيب مطلق، بمعنى أنه ماذا سيحصل غداً هذا غيب مطلق، هل ستكون غداً أحياء؟ غيب مطلق، لا أحد يستطيع أن يعطيك كلمة أنك ستكون حياً غداً طيلة النهار 24 ساعة، ولا إنسان يستطيع القول، ولا أمهر طبيب في الأرض ولو فحص كل الفحوصات، لا أحد يستطيع أن يعطيك كفاءة لتعيش دقيقة واحدة، هذا غيب مطلق، لا يعلم الغيب إلا الله.

2. الغيب النسبي:

وهناك غيب نسبي، نحن الآن في هذه الغرفة لا ندري ماذا يجري في الشارع خارجها، فهو غيب عنا، لكنه ليس غيباً عمن يقف الآن في الشارع، هذا غيب نسبي، مثله تماماً أن يقول لك مثلاً: استطاع الطب أن يميز الذكر من الأنثى في الشهر الرابع بعد 120 يوماً من الحمل، هذا ليس غيباً مطلقاً، هذا غيب نسبي عندما اكتشف جهاز يستطيع أن يصرّ وراء الرجم ويخترق الجذر علمنا، هو موجود ومعلوم ولكن ما كان هناك جهاز يستطيع أن يصوره، فلما اكتشف الجهاز علمنا، هذا من الغيب النسبي وليس من الغيب المطلق، فعلى كل: **(اللَّهُمَّ بَعِّلِك الغيب وقدرتك على الخلق)** مثله علم الطقس؛ تقول غداً يوجد منخفض جوي، هو ليس غيباً، فالغيوم قادمة، والرياح متوجهة، وإن لم تغير مسارها فستصل غداً، فيقول لك الاحتمال الأكبر 99% غداً يوجد منخفض إلا إذا غيرت اتجاهها، فلما كشفت الأجهزة الحديثة علمت ما كان خافياً عنها في لحظة ما الذي هو في الأصل ليس غيباً، أما قبل أن تتحرك الغيوم، وتتحرك الرياح كان غيباً مطلقاً لا أحد يعرفه حتى يأتي بإذن الله جل جلاله.

الحياة والموت بيد الله:



الله تعالى هو الذي يحيي ويميت

(اللَّهُمَّ بَعْلِيكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ) على الخلق جميعاً كل ما خلق الله من الإنس جميعاً والجن والنبات والحيوان، قال: (أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي) هذا من علم الغيب -أحبائنا الكرام- ومن القدرة، القدير هو الذي يحيي ويميت، (أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْتَنِي) لأنه قدير على ذلك، من يملك الإحياء والإماتة إلا الله (بَعْلِيكَ الْغَيْبَ) لأننا لا نعلم إذا كانت الحياة خير لنا، أو الموت خير لنا بعد أيام، لا ندري ماذا نخشى لنا الأيام كما يقال، هذا قدر، فذلك (اللَّهُمَّ بَعْلِيكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ) هذا مناسبة التوسل، لماذا قال بَعْلِيكَ الْغَيْبَ ؟ لأننا لا ندري إذا كانت الحياة خيراً لنا أو لا بعد حين، (وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ) لأن الله تعالى وحده هو من يحيي وهو الذي يميت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ >span style="font-weight:bold"> "رَبِّی الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

(سورة البقرة)

اليمرود تأوّل الإحياء والإماتة بأنه يأمر بإعدام إنسان فيُعدم، أو يعفو عنه بعد أن أمر بإعدامه فيحييه، تأوّلها، وتأوّلها ليس صحيحاً لأنه ليس الفعال، هو يفعل يأمر الله، لكن لأنه تأوّل علمنا القرآن أنك إذا وجدت مُتَأَوِّلًا اتجه فوراً إلى مسألة أخرى، لا تتجارى معه في تأويلاته قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ لَن أَنَافِشُكَ، أنت تتأوّل أنك تحيي وتميت كما تريد، سأعطيك آية ثانية مباشرة فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ صفة من صفاته لا يمكن أن يتأوّلها، الأولى تأوّلها، فإذا كنت في حوار مع إنسان، ووصل معك إلى أنه تأوّل كلامك تأوّلًا غير مقبول، لا تستمر معه، واذهب إلى أمر آخر لا يحتمل التأويل هذا أولى في الحوار، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
>span style="font-weight:bold"> "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ تَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)

(سورة الأنعام)

فقال: (أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي) لا نعلم إن كانت الحياة فيها خير أو الوفاة أحياناً فيها خير، الوفاة فيها خير أحياناً؛ لأن الإنسان قد يُفْتَن بعد حين فيتوفاه الله تعالى إليه وهو على الإيمان، فيدخله جنة عرضها السماوات والأرض، والحياة أحياناً فيها خير إذا كان سيزيد في العمل الصالح، ويزيد في الطاعات، ويزيد في البر، ويزيد في الصدقات؛ لأن الإنسان يندم عندما يأتيه الموت، يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ >span style="font-weight:bold"> "قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

(سورة المؤمنون)

فالحياة خير إذا كان فيها عمل صالح، والوفاء خير إذا كانت دريئةً لئلا يستمر الإنسان في معصية، أو يقع في معصية وفتنة.

خشية الله هي الأساس:

(وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أن يخشى الإنسان ربه في الغيب والشهادة، ولا في الغيب، لأنه كما قلت غالباً الناس كما قال صلى الله عليه وسلم عن أقوام:

{ لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا. } قَالَ تُوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ،» لَا تَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا {

(صحيح المسند)



كفى بالمرء علماً أن يخشى الله

يعني هو في خلواته ينتهك المحرمات، في جلوته أمام الناس بحكم العادة الاجتماعية، وبحكم وجود أناس يراقبونه يلتزم بما تعارف عليه الناس ببلده، قال: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا. } قَالَ تُوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) وكلمة انتهكوها تشير إلى أنهم يفعلون ذلك تكبراً وغلواً وليس غلبة أو ضعفاً، هذا الانتهاك للمحرمات والعباد بالله- لأنه عندما تغيب عين الرقيب يفعل ما خشي أن يقوم به أمام الناس.

(وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْلِيفٌ كَذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)

(سورة فاطر)

أي العلماء وهدم هنا يخشون الله، "كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصى الله"، والله يا أحباب، لو كان إنسان معه أعلى شهادة في الأرض في أعلى علم، وكان يعصى الله ولا يبالي، ولا يتوب، ولا يرجع إلى ربه، وآخر أمّي لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يسأل أين الله إذا أراد أن يعصى الله يراقب الله، فإن الثاني أفضل من الأولي، لأن الإنسان العالم هو الذي يخشى الله، الثاني عالم والأول جاهل، العلم مطلوب، العلم الدنيوي مطلوب، أحياناً يكون فرض كفاية، أحياناً يكون فرض عين، هذا ليس انتقاصاً من العلم الدنيوي، لكن الأصل هو خشية الله، وكل شيء بعدها ينفع من علوم الدنيا، أما إذا كان دون خشية فمضية كبيرة.

معنى الإخلاص:



التزام الإنسان بتوحيد الله تعالى

(وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا والغضب) وفي رواية: (وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا والغضب) كلمة الإخلاص؛ قال بعضهم هي كلمة التوحيد، أن يلتزم الإنسان بتوحيد الله تعالى في رضاه وفي غضبه، أحياناً الناس في الغضب يخرجون عن التوحيد، أو كلمة الإخلاص هنا بمعنى الحق، وهو الأرجح بمعنى أن يقول الإنسان كلمة الحق عند رضاه وعند غضبه، أحياناً أب تأنيبه ابنه وهي مذنبية ويعلم أنها مذنبية، وتشتكي على زوجها، ويعلم أن صهره رجل فاضل، وأن هذه الشكوى تدمر منها غير صحيح، فيغضب لابنه ولا يقول كلمة الحق، فهذا لم يلتزم بكلمة الحق، وأحياناً الأم في البيت تعامل ابنتها معاملة، وكتبتها معاملة أخرى فإذا غضبت تغيرت المعاملة، فالأصل أن الإنسان في كل حال كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول كلمة الحق لا نخشى في الله لومة لائم، فالإنسان سواء كان راضياً أم غاضباً ينبغي أن يلتزم كلمة الحق، كلمة الإخلاص، كلمة التوحيد، فلا يخرج غضبه عن الحق.

الأصل نعيم الآخرة:

(وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنفَدُ) لا ينفد؛ أي لا ينتهي، ليس له انقطاع، أحد الشعراء قال:

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ أَشْعُرُ كَلِمَةً فَالْتَمَّهَا الْعَرَبُ كَلِمَةً تَبِيدُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ }

(أخرجه البخاري)

ولم يتابع البيت؛ لأن الثانية غير صادقة، الأولى صادقة أما الثانية غير صحيحة "وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ" لا، لأن "كل" لفظ ألفاظ العموم وهناك نعيم الجنة، ونعيم الجنة لا ينفد، يعني شيء جميل أن يكون الإنسان في الدنيا في نعيم، وهذا إذا كان في إيمان وفي طاعة ممتاز، وإذا كان في معصية فهو وبال، لكن الإنسان ما النعيم الذي لا ينفد؟ نعيم الآخرة، ومن الأدعية الجميلة "اللهم اجعل نعيم الآخرة متصلة بنعيم الدنيا"، لكن الأصل هو نعيم الآخرة، لذلك يُؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا، أكثر رجل نعيماً في الدنيا؛ قصور وبيوت وأموال وسيارات، وجاه ومنصب، نعيم، فيغمس في النار غمسة فيقول: لم أرَ خيراً قط، ويؤتى بأبأس رجل، أو أشد الرجال بؤساً في الدنيا، يعني سجون وقهر وتعذيب ربما، أكثر رجل بؤساً فيغمس في الجنة غمسة ثم يُخرج فيقال له هل رأيت بؤساً قط؟ لا والله لم أرَ بؤساً.

{ يُوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَفَّارِ، فيُقال: اغمِسْوه في النَّارِ غَمْسَةً، فيُغمَسُ فيها، ثُمَّ يُقالُ لَهُ: أَيُّ فُلَانٍ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ }

فيقول: لا، ما أصابني نعيم قط، ويؤتى بأشدَّ المؤمنين صرّاً، وبلاءً، فيقال: اغمِسْوه غمسةً في الجَنَّةِ، فيُغمَسُ فيها غمسةً، فيقالُ لَهُ: أَيُّ فُلَانٍ

هَلْ أَصَابَكَ صُرٌّ قَطُّ، أو بلاءً، فيقول: ما أصابني قطُّ صُرٌّ، ولا بلاءً. {

(صحيح ابن ماجه)

فذاك هو النعيم، نعيم الآخرة، نعيم الدنيا ينقطع بالموت، أما النعيم الذي لا ينفد فهو نعيم الآخرة، لذلك قال (وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنفَدُ).

أنواع قرة العين:

(وَقَرَّةٌ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ) قرة العين ما تفر بها العين، (وَقَرَّةٌ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ) العين كيف تقر؟ بالسكون، تسكن، قرة العين سكونها، ربنا -عز وجل- في القرآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ "رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (74)>

(سورة الفرقان)



قُرَّةُ الْعَيْنِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ دَاقَهَا

يعني في ذلك الآباء والأزواج، يعني إذا نظر إلى زوجته سرتة، إذا غاب عنها حفظته، إذا أمرها أطاعته، فيجد فيها قرة العين، يدخل إلى البيت فيقول هي قرة عيني، يجد الأب ذلك الأم في أبنائهم، عندما يرى ابنه صالحاً، يصلي، متعلم، ليس كأبناء الطرقات يطلق الكلام البذيء أو الفاحش، تفر عينه به، الولد الصالح قرة عين، فقرة العين لا يعرفها إلا من داقها، والنبي صلى الله عليه هنا يسأل الله قرة العين التي لا تنقطع، وقيل في تفسير الحديث: قرة العين هي الذرية الصالحة، لأنه لا ينقطع أجرها بموت الرجل، أو المرأة وإنما يستمر بعد ذلك إلى أبد الأبد، (وقرة عين لا تنقطع) كل ما تفر به العين، وأهمها الذرية الصالحة، لكن تفر العين أحياناً بالطاعة، تفر العين بالعمل الصالح، تفر العين بالإنفاق، كل شيء يكون فيه سرور النفس فهو قرة للعين.

الرضا بقضاء الله:



الرضا بقضاء الله تعالى نعيم

(وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالقَضَاءِ وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ) الرضا بالقضاء -أحبائنا الكرام- من أعظم ما يَمُنُّ الله تعالى به على عباده، "اللهم رضنا بالقضاء"، يعني الرضا بالقضاء نعيم والله من رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، أكبر مصيبة بالرضا تهون، وأصغر مصيبة بغير الرضا تعظم، الرضا بالقضاء أن ترضى بما قضاه الله تعالى وقدره، سواء كان موافقاً لما تُحب، أو لم يكن موافقاً لما تحب؛ لأنك تعلم أن الله تعالى ما عنده إلا ما يصلحك وما فيه الخير لك.

(وبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ) يعني في الدنيا -أحبائنا الكرام- إذا كانت أيام ربيعية، وليس هناك البرد الشديد الزمهرير الذي يحقد الأطراف، ولكن هواء عليل، فالإنسان يُسرّ يقول جلسنا على السطح كان الهواء جميل جداً، سُررنا سروراً عظيماً (وبِرَدِّ الْعَيْشِ) المقصود هنا في الحديث بعد الموت، يوجد حياة البرزخ بعد الموت، ثم الحياة الآخرة، فبرد العيش أي هوائها، عيش هائئ بعد الموت.

رؤية الله يوم القيامة:

(وَلَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ) هذا جمع خبري الدنيا والآخرة، في الدنيا نشاق إليه، وفي الآخرة نسعد بالنظر إليه، يُقال لذة؛ لأن النظر إلى وجه الله الكريم يكتنفه حالان: **الهيبة والسعادة معاً**، يعني أنت اليوم إذا كان هناك شخص تحبه وتُعظمه معاً، ولم تره في حياتك، ثم أتيح لك أن تلتقي به، فنظرت إليه تقول سررت أيما سرور، لكن في الوقت نفسه قلبي كان يطرق مهابة، فاللذة أحياناً يخالطها شعور الهيبة، لما قال (وَلَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ) الكريم المقصود تلك السعادة التي أجدها رغم ما في هذا الموقف من جلالة وربة، (وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي الدُّنْيَا)، نحن نشاق إلى لقائه، ثم نسعد برؤيته، قال تعالى:

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَةُ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)

(سورة يونس)

الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، وأعظم ما في الجنة النظر إلى وجهه الكريم، إلى وجه الحبيب جل جلاله، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَصَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ. }

(صحيح البخاري)

فرؤية الله يوم القيامة حق، في الدنيا لا نستطيع أن نراه، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي ۚ وَلَٰكِنِ
أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

(سورة الأعراف)

ولكن في الآخرة النظر إلى وجهه الكريم حق.

لا ضرر ولا ضرار:

(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُّضِرٍّ وَفِتْنَةٍ مُّضِلَّةٍ) الضراء ما فيه ضرر للإنسان، والمُضرة التي تلحق الضرر بالإنسان، فهي ضراء وتلحق الضرر بالإنسان، كقوله صلى الله عليه وسلم:

{ لا ضرر ولا ضِرَارَ }

(النووي)

يعني لا ضرر على النفس، ولا إضرار بالغير، (لا ضرر ولا ضِرَارَ)، (ضَرَاءٌ مُّضِرٌّ) شيء فيه ضرر، ويُلقق الضرر بالآخرين، هل هناك ضراء غير مضرة؟ ربما، كم من إنسان أصابته ضراء، ثم علم أنها ليست مُضِرَّةً، وإنما كانت نافعة، ربما ضارة نافعة، "ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك"، كما يقول ابن عطاء الله السكندري، يعني أحياناً المنع هو ضراء، ثم يكتشف الإنسان أنه كان عين العطاء؛ لأن الله أعطاه من جانب آخر أشياء أخرى بحجم هذا الشيء، فيجد أن هذه الضراء لم تكن مضرة.

الفتنة قد تكون للهداية أو للضلال:



الفتنة يعني الاختبار

(وفتنه مصلية) أيضاً الفتنة ليست دائماً مُصَلَّةً، الفتنة يعني الاختبار، فإذا كان هناك إنسان في الجامعة تقدّم للاختبار وخرج، وصديقه تقدم للاختبار وخرج، أحدهم كتب وقال أنه يأخذ 90%، والثاني كتب قال لا أخذ 10%، فالأول فتنته كانت هادية له، الثاني فتنته كانت مضلة له، فهناك فتنة غير مضلة، فهذا الوصف ليس وصفاً لازماً، وصفاً احترازياً لأن الإنسان إذا اختبر فنجح فهذا الاختبار، وتلك الفتنة ليست ضللاً له وإنما هداية، لأن الله هداه إليه بهذه الفتنة، كم من إنسان مرض فرجع إلى الله بمرضه، كم من إنسان افتقر فشعر بفقره لله تعالى فعاد إليه، فلم تكن تلك الفتنة وذاك الاختبار إضلالاً له، بل كان هداية، لذلك قال: **(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَرَّاءٍ مُصَرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُصَلِّةٍ)**.

كليات الإيمان:

ثم ختم صلى الله عليه وسلم بقوله: **(اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ)**
(اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ) جعلنا بجمال الإيمان، الإيمان -أحبائنا الكرام- ثلاث كليات: كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية.

1. الكلية المعرفية:

فالمؤمن يعرف أن الله -سبحانه وتعالى- واحد، كامل، هناك يوم آخر، هناك قضاء قدر، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خير وشره من الله، هذه الكلية المعرفية.

2. الكلية السلوكية:

الكلية السلوكية: الآن يتحرك وفق إيمانه، فلا يظلم، لا يغش الناس، لا يغتاب الناس، يؤدي الصلوات، يجتنب المحرمات، هذه الكلية السلوكية، معرفية وسلوكية.

3. الكلية الجمالية:



جمال الإيمان يؤدي إلى سكينة في القلب

وهناك كلية أخرى جمالية، هي جمال الإيمان هذه تؤدي إلى سكينة في قلبه، راحة في ضميره، تؤدي إلى نور في وجهه، تؤدي إلى محبته للناس، ومحبة الناس له، هذه كلية جمالية، فالإيمان معرفة وسلوك وجمال، فهنا قال: **(اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ)** التي هي النتيجة الحتمية للمعرفة والسلوك، فمن عرف الله تعالى حقاً واستقام على سلوكه، تزين بزيينة الإيمان، والله أحياناً تنتظر إلى وجه الإنسان، يعني إذا رُؤوا ذكر الله من تواضعه، من بهاء وجهه، من النور الذي يلقه الله في وجهه، أحياناً تنتظر إلى إنسان ظالم والعياذ بالله، تقول وجهه لا أستطيع النظر إليه، مُسود والعياذ بالله، فالإيمان له نور يعرفه أهل الإيمان، أهل الإيمان يعرفون كل هذا، فهذا هو جمال الإيمان قال **(اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ)** لا تكون زينة الإيمان إلا بعد الإيمان، نحن نريد أن نزين هذه الغرفة، هل نستطيع أن نزينها بلا وجودها، إذا زينة الإيمان يعني هناك إيمان.

الدعاء:

نسأل الله أن يجعلنا من الصالحين المصلحين، الهداة المهتدين، الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، اهتدوا فتحركوا لهداية الخلق، والإنسان ما أن يهتدي إلى الله -عز وجل- حتى يحب نقل الخير إلى الناس، لأنه وجد نور الإيمان، وجد جلاوة الإيمان، وجد نتائج الإيمان المبهرة، وما يحققه الإيمان له من سعادة في الدنيا والآخرة، ومن سكينة في الدنيا والآخرة، فيتحرك من أجل أن ينقل للناس ما عنده من خير، لأنه يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيكون من الهداة المهتدين.

نور الدين الاسلامي